ابن حبيب الحلبي(ت٧٧٩هـ) وكتابه نسيم الصبا

ا.د.إنقاذ عطا الله العاني طالبة الماجستير مروة فاضل حمد حسين الزبيدي
جامعة الانبار- كلية التربية للعلوم الإنسانية جامعة الانبار- كلية التربية للعلوم الإنسانية
dr-inkadh@Yahoo.com

المستخلص
ابن حبيب الحلبي احد أعلام القرن الثامن الهجري ،يمثل كتابه نسيم الصبا إضافة قيمة للمكتبة البلاغية العربية ،يتناول البحث سيرة ابن حبيب ومنزلته العلمية وإشادات المؤلفين به وبشخصيته العلمية والاختلافات في اسمه وشيوخه ومن تتلمذ على يديه من العلماء ،إلى جانب مؤلفاته المنسوبة إليه ،وكذلك المناخ الفكري والسياسي الذي نشأ فيه وعاش،.كما يتناول بالحديث مخطوط كتابه (نسيم الصبا) وقيمته العلمية وكذلك ونسبته إليه والآراء الواردة في هذا الموضوع،إلى جانب آراء النقاد بالكتاب والفوائد التي ينطوي عليها،وهو برأينا كتاب مهم يندرج في منهجه وموضوعه تحت تيار ما يسمى حديثا بمدرسة(الفن للفن).

الكلمات الرئيسية: البلاغة العربية، الدراسات النصية ، ابن حبيب الحلبي

Abstract
Ibn Habeeb Al Halabi is one of the figures of the eighth century (A.H). His book (Naseem Al Siba) –The Breeze of Youth- is a valuable contribution to Arabic rhetoric. This paper deals with Al Halabi's life, works, stature, other scholars' opinion on him, his masters, and his disciples. This paper also deals with his book Naseem Al Siba , its scientific significance, its authorship contribution, and the critics' views on this book. This book is very important and can be groubed, according to its style and content, under what is known as Art for Art school.

Key Words: Arabic Rhetoric, Textual Study, Ibn Habeeb Al Halabi

المبحث الأول: المؤلف

- أسمه ونسبه :

تكاد تتفق المصادر التي ترجمت لابن حبيب على تحديد اسمه ونسبه مع اختلافات بسيطة ، فهو الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب بن عمر بن شُويخ – وذكر صاحب (شذرات الذهب) إنه سُريح ، وذكر صاحب (البدر الطالع) إنه شُريح أما صاحب (إنباء الغمر) فقد بدا متناقضا في اسم شويخ فعندما ترجم له قال شُويخ وعندما ترجم لأبنه طاهر قال شُريح - ، بن عمر بدر الدين ابن المُحدث ابن الشيخ زين الدين ، ابو محمد ، ابو طاهر الدمشقي الاصل الحلبي[١].

وذكر صاحب (هدية العارفين) إنه: حسن بن زين الدين بن عمر بن بدر الدين بن حسن بن عمر بن حبيب الحلبي أبو محمد الشافعي ...[٢] ، وقال الزركلي (وقع لي من خطه نموذجان واضحان ، هو في أحدهما (الحسين بن عمر) وفي الثاني (الحسن بن عمر))[٣] ، ولم أعثر في الكتب التي أطلعت عل يها لترجمته على من سماه (الحسين) .وهناك من يسمى بالحسين وهو شرف الدن الحسين بن حبيب (٧١٢هـ -٧٧٧هـ) الذي شرح (الفهرست) و(المشيخة) وذكر في طبقات الشافعية أن شرف الدين الحسين أخوه[٤] .

---

[١] ينظر: الوافي بالوفيات ١٢٢/١٢، ذيل التقييد :٥٠٨/١، طبقات الشافعية :٨٨/٣، الدرر الكامنة :١٣٤/٢، المنهل الصافي : ١١٥/٥، كنوز الذهب :١١/١، شذرات الذهب ٤٥١/٨، البدر الطالع :٢٠٥/١، إنباء الغمر:١١٢/١، الأعلام :٢٠٨/٢ ، معجم المؤلفين :٢٦٦/٣

[٢] ينظر: هدية العارفين ٢٨٧/١

[٣] ينظر :الاعلام ٢٠٩/٢

[٤] ينظر: طبقات الشافعية ٨٩/٣ ، إنباء الغمر ١١٢/١، شذرات الذهب ٤٣٣/٨، معجم المؤلفين ٣٩/٤

ولد في دمشق ونصب أبوه محتسباً في حلب ، فكانت نشأة ابن حبيب في بيت علم ودين ، محباً للآداب، فشغف منذ نعومة أظافره بالعلم والتعلم فقد ذكرت بعض المصادر التي ترجمت له بأنه حضر في الرابعة من عمره على العديد من علماء عصره ليتعلم منهم ، ثم أنتقل مع أبيه الى حلب فنشأ فيها ونسب اليها ، إلا إن بعض المصادر تذكر بأنه دمشقي الأصل حلبي المولد والدار أي إنه ولد في حلب [٥]. ثم تنقل كثيرا بين البلاد فرحل الى مصر والحجاز وعاد بعد ذلك ، وتنقل كذلك في بلاد الشام وأستقر في حلب [٦].

وقد ذكرت الكتب التي ترجمت له بأنه أشتغل وبرع إلى إن صار رأساً في الأدب ، وقد ذكر من ترجم له بأنه كان دمث الأخلاق ، حسن المحاضرة حميد المذاكرة ، فاضلا كيساً، صحيح النقل، عالماً مشاركاً في أنواع العلوم ، وله اليد الطولى في النظم والنثر وله سماع ورواية [٧].

- ولادته ونشأته :

ولادة أبن حبيب كما أجمعت المصادر التي ترجمت له كانت في سنة عشر وسبعمائة [٨]، ولم أجد في المصادر التي أطلعت عليها اختلافا في ذلك إلا في ترجمة أبن قاضي شهبه فقد ذكر رأياً يقول فيه بأن ولادته كانت سنة اثنتي عشرة[٩].

وقد اختلفت بعض المصادر في تحديد شهر ولادته وأغفلت بعضها ذكره، فقيل كانت ولادته في شهر شعبان [١٠]، في حين ذكر أبن قاضي شهبه إن ولادته كانت في شهر جمادى الآخرة [١١].

وقد عاش حياة مليئة بالعطاء ، فقد تقلد العديد من الوظائف والمناصب وألف العديد من المؤلفات في مختلف المجالات، غير إنه تخلى عن جميع تلك الوظائف التي مارسها في آخر عمره ولزم دا ره ، حتى توفي بحلب في ضحى يوم الجمعة حادي عشر شهر ربيع الآخر عن تسع وستين سنة، وذلك في سنة تسع وسبعين وسبعمائة، ودفن بتربة أرغون، هذا ما اتفقت عليه المصادر التي ترجمت له [١٢]، غير أن صاحب (المنهل الصافي) يذكر إن وفاته كانت في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر ربيع الآخر [١٣].

- مؤلفاته:

تنوع النتاج الأدبي والثقافي لأبن حبيب الحلبي، فقد ألف في الفقه والتاريخ والأدب ولعل من أبرز ما وصل إلينا من أسماء تلك المؤلفات هو:

١- أخبار الدول وتذكار الأول : في التاريخ ، مختصر، مسجع، ذكر فيه الأنبياء، والخلفاء والملوك [١٤] ، توجد نسخة منه في مكتبة عمان [١٥]

---

[٥] ينظر: الوافي بالوفيات ١٢٢/١٢، ذيل التقييد ٥٠٨/١، الدرر الكامنة ١٣٥/٢، المنهل الصافي ١١٥/٥ ، هدية العارفين ٢٨٧/١

[٦] ينظر: الاعلام ٢٠٨/٢

[٧] ينظر: المنهل الصافي : ١١٦/٥ ، إنباء الغمر: ١٦٢/١، شذرات الذهب ٤٥١/٨، البدر الطالع : ٢٠٥/١

[٨] ينظر: الوافي بالوفيات ١٢٣/١٢، إنباء الغمر ١٦٢/١، الدرر الكامنة ١٣٤/٢، المنهل الصافي ١١٥/٥، البدر الطالع ٢٠٥/١، معجم المطبوعات ٧٤، الأعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣، طبقات الشافعية ٨٨/٣

[٩] ينظر: طبقات الشافعية ٨٨/٣

[١٠] ينظر: البدر الطالع ٢٠٥/١، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣

[١١] ينظر: طبقات الشافعية ٨٨/٣

[١٢] ينظر: إنباء الغمر ١٦٣/١، الدرر الكامنة ٢/ ١٣٧، البدر الطالع ٢٠٥/١، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣، الأعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ١٨٦/١، طبقات الشافعية ٨٨/٣

[١٣] ينظر: المنهل الصافي ١١٧/٥

[١٤] ينظر: المنهل الصافي ١١٧/٥، كشف الظنون ١/١، هدية العارفين ٢٨٧/١، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣

[١٥] ينظر: مجلة معهد المخطوطات في الفارس العامة للمجلد ١٤ : الجزء ٢

٢- إرشاد السامع والقارئ المُنْتَقى من صحيح البُخاري [١٦]
٣- تَحبِّة المسلم، المُنتقى من شعر ابن المعلم [١٧]
٤- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه [١٨] ، وفي الموقع الإلكتروني لمكتبة الملك فهد الوطنية ذكر بان الكتاب حققه ووضع حواشيه : محمد محمد أمين ، وراجعه وقدم له : سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ النشر: سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٧٦م .
٥-التوشيح في شرح الحاوي ، وسمي (التوضيح) جمع فيه بين توضيح الحاوي لقطب الدين الغالي وبين زوائد مفيدة من إظهار الفتاوى للبارزي [١٩]
٦- حاشية التو شيح في فروع الفقه الشافعي [٢٠] .
٧-حضرة النديم من تاريخ ابن العديم [٢١]، ونسب لابنه (طاهر) [٢٢] ، إحدى نسخه الخطية في جامعة الموصل برقم (٣٥/١٧) [٢٣]
٨- جُهينة الأخبار في أسماء الخلفاء وملوك الأمصار مختصر في التاريخ ،ألفه على السجع ورعاية الفقرات [٢٤].
٩- درة الأسلاك في دولة الأتراك جمع فيه تأريخ دولة الترك من سنة ثمان وأربعين وستمائة وانتهى فيه إلى آخر سنة سبع وسبعين وذيل عليه ولده زين الدين طاهر إلى بعد رأس القرن بسنوات [٢٥]، وتوجد نسخة من درة الأسلاك في دولة الأتراك في مكتبة الجلاوي باشا بمراكش [٢٦] ، وفي الموقع الإلكتروني لمكتبة الملك فهد الوطنية ذكر بان الكتاب حققته : عفراء بنت هزاع بن متعب ابو شامة ، إشراف : يسرى احمد عبد الله زيدان ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، وكذلك توجد نسخة منه في جامعة لايبزيك الألمانية [٢٧] .
١٠- دليل المجتاز بأرض الحجاز - في المناسك - [٢٨]
١١- ديوان المقطعات ، وفي كشف الظنون : (الشذور- وهو ديوان مقطعات-) أما في الهدية فقد جعل (ديوان المقطعات كتاب و(الشذور) كتاب آخر [٢٩]
١٢- شنف السامع في وصف الجامع نسبه صاحب الهدية لابن حبيب يشتمل على وصف الشَّام وأخبار دمشق وأوصافها ، ونسب كتاب آخر لابنه طاهر (ت ٨٠٨هـ) بالعنوان نفسه و أضاف (أي جامع بني أمية) وكذلك في معجم المؤلفين وكشف الظنون. [٣٠]

---

[١٦] ينظر: كشف الظنون ٥٥٢/١، هدية العارفين ٢٨٧/١، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣
[١٧] ينظر: كشف الظنون ٥٥٢/١، هدية العارفين ٢٨٧/١
[١٨] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٦/٢، البدر الطالع ٢٠٥/١، الأعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١
[١٩] ينظر: هدية العارفين ٢٨٧/١، طبقات الشافعية ٨٨/٣
[٢٠] ينظر: معجم المؤلفين ٢٦٦/٣
[٢١] ينظر: كنوز الذهب ١١/١
[٢٢] ينظر: كشف الظنون ٢٩١/١، معجم المؤلفين ٣٤/٥، هدية العارفين ٤٣١/١
[٢٣] ينظر: كنوز الذهب ١١/١
[٢٤] ينظر: كشف الظنون ٦٢٣/١، الأعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١
[٢٥] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٥/٢، المنهل الصافي ١١٦/٥، كنوز الذهب ١١/١، كشف الظنون ٧٣٧/١، ديوان الإسلام ٢٥٩/٢، البدر الطالع ٢٠٥/١، الأعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ١٨٧/١
[٢٦] ينظر: مجلة معهد المخطوطات : المجلد الخامس : ١٩٠/١-١٩٣
[٢٧] موقع ملتقى أهل الحديث
[٢٨] ينظر: هدية العارفين ٢٨٧/١
[٢٩] ينظر: كشف الظنون ١٠٦٥/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١
[٣٠] ينظر: كشف الظنون ١٠٦٥/٢، معجم المؤلفين ٣٤/٥، هدية العارفين ١٨٧/١، ٤٣١

١٣-كشف المروط عن محاسن الشروط - في فقه الشافعية – قال (أوردت فيه جملة من السجلات ، على اصطلاح أهل مصر والشام) [٣١] توجد نسخة منه في خزانة جامع الكواكبي للمخطوطات في جده [٣٢] .

١٤- الكوكب الوَقّاد من كتب الاعتقاد –انتقاه من كتاب (الاعتقاد) للحافظ البيهقي [٣٣]

١٥- مروج الغروس في خُروج بيغاروس – مقامة - [٣٤]

١٦- معاني أهل البيان من وفيات ابن خلكان ، أتى فيه بمائتين وسبعة ثلاثين نفرا مع أشعارهم ، وآثارهم [٣٥] .

١٧- المقتفى في ذكر فضائل المصطفى، وقيل أسمه (الاقتفاء) [٣٦]، حققه الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي عن دار الحديث في القاهرة – مصر ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م. عدد أجزاء الكتاب : ١ ، وعدد الصفحات ٨٦. وذكر في احد مواقع المكتبات الإلكترونية بان للكتاب عدة نسخ وفي أماكن متعددة من الكتاب في أكثر من عشر مكتب ات أجنبية وعربية [٣٧] .

٢١-المنتقى من ديوان إبراهيم النحوي المسمى ب(قواعد إبراهيم) [٣٨]

٢٢- مقياس النبراس على حروف المعجم نظماً ونثراً [٣٩]

٢٣- النجم الثاقب من أشرف المناقب – في السيرة النبوية- وفي الدرر (أسني المطالب في أشرف المناقب) : ثلاثين فصلاً مختصراً، ألفه في رمضان سنة (٧٦٢هـ) [٤٠] .

٢٤- نفحات الأرج من كتاب تبصرة أبي الفرج [٤١]

٢٥ - نسيم الصِّبَا ، ويسمى (فصول الربيع في أصول الربيع) وهو الكتاب الذي بين يدينا [٤٢]

شيوخه و تلاميذه:-

١/ شيوخه:

---

[٣١] ينظر: كشف الظنون ٤٩٥/٢، الأعلام ٢٠٩/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١

[٣٢] ينظر: مجلة معهد المخطوطات العربية: المجلد الأول ج١٧/١.

[٣٣] ينظر: كشف الظنون ١٥٢٤/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١

[٣٤] ينظر: هدية العارفين ٢٨٧/١

[٣٥] ينظر: كشف الظنون: ٢٠١٨/٢، أسماء الكتب المتمم لكشف الظنون: ٢٨١، هدية العارفين: ٢٨٧/١

[٣٦] ينظر: م. ن. ١٧٩٤/٢، الأعلام ٢٠٨/٢

[٣٧] موقع مجلة مركز ودود للمخطوطات

[٣٨] ينظر: كشف الظنون ١٨٥٢/٢

[٣٩] ينظر: كشف الظنون ١٨١٠/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١

[٤٠] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، المنهل الصافي ١١٧/٥، كشف الظنون ١٩٣٠/٢، الأعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١، الدرر الكامنة ١٣٥/٢

[٤١] ينظر: المنهل الصافي ١١٦/٥

[٤٢] ينظر: ذيل التقييد ٤٤١/١، الدرر الكامنة ١٣٥/٢، المنهل الصافي ١١٦/٥، كنوز الذهب ١١/١، نفح الطيب ٩٦٦/٢، كشف الظنون ١٢٧٠/٢، ١٩٥١، البدر الطالع ٢٠٥/١، الأعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١، ١٦٩/٢، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣ ، جهود العلماء ٥٠

ولعل هذه المقدرة الموسوعية على التأليف في مختلف علوم عصره ، نابعة من كونه قد تلقى علومه على أيدي أبرز علماء عصره ، ولعل من أبرز من تتلمذ على ايديهم :

١/ أبن نباته [٤٣] : سمي بابن نباته الكثير ، منهم أبن نباته السعدي – المعروف – أما هذا فهو أبو بكر جمال الدين المصري (٦٨٦-٧٦٨هـ)[٤٤] وقد أخذ منه ابن حبيب صنعة الأدب ، وبدا ذلك واضحاً في كتابه (نسيم الصِبا) فقد أورد أبياتاً كثيرة فيه لابن نباته.

٢/ إبراهيم بن صالح بن العجمي [٤٥] .

٣/ أبو بكر العجمي [٤٦] .

٤/ أبو طالب عبد الرحيم العجمي [٤٧] : سمع منه ابن حبيب .

٥/ أبو طالب عبد الرحمن [٤٨] : سمع منه ابن حبيب أيضاً.

٦/ أبو المكارم النصيبي [٤٩] : سمع منه ابن حبيب أيضاً.

٧/ إسماعيل بن صالح [٥٠] .

٨/ اسحاق النحاس [٥١]

٩/ بيبرس العديمي [٥٢] .

١٠/ تاج الدين بن النصيبي [٥٣] .

١١/ الحسن الكردي [٥٤] : أجاز له من مصر

١٢/ الرشيد بن المعلم، وذكر صاحب التقييد الرشيد بن القيم[٥٥] : أجاز له من مصر

١٣/ الزّاهد الحريري [٥٦]

١٥/ زينب بنت شكر [٥٧] : أجازت له في بيت المقدس .

١٦/ عبد الرحمن بن صالح بن العجمي [٥٨]

١٧/ عبد المحسن بن الصابوني [٥٩] : سمع منه في القاهرة

١٨/ القاضي فخر الدين ابن خطيب جبرين : [٦٠] .

---

[٤٣] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٥/٢، البدر الطالع ٢٠٥/١، طبقات الشافعية ٨٨/٣

[٤٤] ينظر: الوافي بالوفيات ٢٣٤/١

[٤٥] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٥/٢، إنباء الغمر ١٦٣/١، شذرات الذهب ٤٥٢/٨

[٤٦] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، المنهل الصافي ١١٦/٥

[٤٧] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، الدرر الكامنة ١٣٦/٢، المنهل الصافي ١١٦/٥

[٤٨] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١

[٤٩] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٦/٢، المنهل الصافي ١١٦/٥

[٥٠] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، الدرر الكامنة ١٣٦/٢

[٥١] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٧/٢

[٥٢] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، إنباء الغمر ١٦٣/١، الدرر الكامنة ١٣٥/٢، المنهل الصافي ١١٦/٥، شذرات الذهب ٤٥٢/٨

[٥٣] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١

[٥٤] ينظر: م. ن ٥٠٨/١، الدرر الكامنة ١٣٧/٢

[٥٥] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨٧/١، الدرر الكامنة ١٣٧/٢

[٥٦] ينظر: الوافي بالوفيات ٣٢١/٢٢، الدرر الكامنة ٢٠٤/٤

[٥٧] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، الدرر الكامنة ١٣٧/٢

[٥٨] المصدر نفسه.

[٥٩] ينظر: إنباء الغمر ١٦٣/١، شذرات الذهب ٤٥٢/٨

١٩/ الكمال بن النحاس وفي – ذيل التقييد – ابن النجاس [٦١]
٢٠/ محمد بن علي ساعد [٦٢] : أجاز له
٢١/ محمد بن غالي [٦٣] : سمع منه في القاهرة
٢٢/ محمد بن إبراهيم بن معضاد [٦٤] ،
٢٣/ موسى بن علي الحسيني [٦٥] : أجاز له
٢٤/ نخوة بنت النصيبي [٦٦]
٢٥/ يحيى بن المصري [٦٧] : سمع منه في القاهرة .

٢/ تلاميذه:

بعد كل هذا لا نجد من الغريب أن يكون لأبن حبيب عددٌ وافرٌ من التلاميذ الذين درسوا على يديه وتعلموا منه . وتذكر الكتب أسماء عدد منهم لعل من أبرزهم :

١/ ابن عشائر[٦٨]
٢/ ابن ظهيرة[٦٩]
٣/ سبط ابن العجمي[٧٠]
٤/ علاء الدين ابن خطيب الناصرية : ذكر صاحب (الدرر الكامنة) إنه قال هو أول شيخ سمعت عليه الحديث وأجاز لي [٧١]
٥/ محب الدين ابن الشحنة [٧٢]
٦/ محمد بن أحمد بن محمد الكازروني [٧٣]

الوضع السياسي والاقتصادي لعصره :

عاش ابن حبيب في عصر أطلق عليه بعض الباحثين تسميات تدل على ظلم وتجنٍ وعدم معرفة لذلك العصر المزدهر ثقافياً على الرغم من حالة الفوضى والحروب والفتن التي كانت تمر بها الأمة الإسلامية في القرن الثامن الهجري وما سبقه .

فقد أدى ضعف الدولة العباسية ، وما حدث في بغداد مركز الخلافة من تدهور لنفوذ السلطة المركزية إلى قيام العديد من الدول على حسابها في المشرق و المغرب ٧٤ فحطم المغول أسوار بغداد قادمين من المشرق ودمّروا حضارة

---

[٦٠] ينظر: الوافي بالوفيات ١٢٣/١٢، المنهل الصافي ١١٦/٥، الدرر الكامنة ١٣٥/٢
[٦١] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، المنهل الصافي ١١٦/٥٥
[٦٢] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١
[٦٣] ينظر: إنباء الغمر ١٦٣/١، شذرات الذهب ٤٥٢/٨
[٦٤] ينظر: إنباء الغمر ١٦٣/١، شذرات الذهب ٤٥٢/٨
[٦٥] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، الدرر الكامنة ١٣٧/٢
[٦٦] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٨/١، الدرر الكامنة ١٣٧/٢

٦٧ ينظر : المصدر نفسه.
[٦٨] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٦/٢
[٦٩] ينظر: م، ن ١٣٦/٢، معجم المطبوعات ٧٤/١
[٧٠] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٦/٢
[٧١] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٦/٢
[٧٢] ينظر: الدرر الكامنة ١٣٦/٢
[٧٣] ينظر: ذيل التقييد ٥٠٩/١

العراق سنة ٦٥٦هـ ، وانطلقوا نحو بلاد الشام عاصفين بإرثنا الأدبي والعلمي والحضاري. وهكذا كان المشرق العربي نَهْباً لغزاة محتلين من غربه وشماله وشرقه . وتحالف التتار والفرنج والكرج والروم غير مرة لاحتلال أرضنا وتدمير إرثنا الحضاري . إن حروبا استمرت للقرنين السادس والسابع الهجريين، وغزواً استيطانياً مُريعا كل ذل ك أدى إلى تدمير الكثير من موروثنا الأدبي والعلمي والحضاري .

وعلى الرغم من الاضطراب وحالة الفوضى التي يعاني منها المجتمع في تلك الفترة إلا أن العلماء والأدباء العرب لم يقفوا متفرجين على ما يحدث في البلاد من الاضطرابات دون تحريك ساكن ، وفي موقفهم هذا برهان على أن العصر لم يكن عصر انحطاط أو غير ذلك من التسميات التي أطلقها بعض الكائدين للأمة العربية ، فقد أدرك العلماء والأدباء والمؤرخون العرب المسلمون ضرورة الحفاظ على التراث العربي العظيم فاخذوا في تأليف الموسوعات وتأليف الكتب الفنية حفاظاً لذلك التراث من الضياع والتبدد ، فمن أبرز المؤلفات الموسوعية التي كتبت في هذا العصر :

- لسان العرب : لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الين بن منظور الافريقي (ت ٧١١هـ) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب : لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم ، شهاب الدين النويري (ت ٧٣٣هـ) طبع عدة طبعات كانت الأولى منها في عام : ١٤٢٤هـ .
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز : ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ،الحسيني العلوي ، الطالبي، الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ).
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار : لأحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي ، العمري ، شهاب الدين (ت ٧٤٩هـ) .
- الوافي بالوفيات: لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) .
- فوات الوفيات : لمحمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ).

وغير ذلك العديد من المؤلفات المطبوعة وكذلك التي ما زالت في خزائن المخطوطات ، فإذا كان لدينا هذا الكم الهائل من الكتب العلمية والأدبية فكيف يمكن أن نصدق بأن هذا العصر هو عصر انحطاط أو فترة مظلمة .

المبحث الثاني: الكتاب

نسبة الكتاب وتسميته :

---

[٧٤] ينظر : نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك ٢٣٩

كتاب (نسيم الصِّبا) من الكتب الأدبية الرائعة، التي أهتم بها الأدباء والباحثون قديما وحديثا ، لما احتواه من مادة أدبية وفنية استحقت ذلك الاهتمام.

وقد نسب هذا الكتاب لابن حبيب الحلبي (ت ٧٧٩هـ) وقد أجمعت الكتب التي ذكرته على ذلك [٧٥] .

وكذلك أجمعت الكتب على تسميته ب(نسيم الصِّبا) غير أن صاحبي (كشف الظنون) و(هدية العارفين) أطلقا عليه عنواناً ثانوياً هو (فصول الربيع في أصول البديع) فضلا عن تسميته ب (نسيم الصِّبا) [٧٦] .

قيمة الكتاب :-

إن المنطلق الأساسي والمرتكز الذي أبدأ به لبيان أهمية الكتاب ، هي مسألة التأثير والتأثر بكتاب (نسيم الصِّبا) وهي مسألة قديمة في الأدب العربي ، وكتاب (نسيم الصِّبا) يمكن تصنيفه ضمن كتب المقامات وهو فن قديم له أصوله وكتّابه ، وقد جمع فيه المؤلف شعراً كثيراً له ولغيره ، وقسمه على ثلاثين فصلاً .

ولعله ساير بذلك ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في كتابه (صبا نج د) الذي كان - كما ذكر صاحب كشف الظنون – كتابٌ نثري وشعريٌ - ، وقد رتبه ابن الجوزي على ثلاثين فصلاً ، ولعل المؤكد أن الكتابين يقومان على هيكلية واحدة [٧٧] .

غير أن تأثير ابن حبيب في مؤلفات الأدباء الذين جاءوا من بعده يبدو أشد وضوحاً ، وقد بدا ذلك واضحاً في كثير من المؤلفات التي نهجت نهجه والتي تلته إذ عمد مؤلفوها إلى الأخذ من الكتاب نصوصاً يطرزون بها مؤلفاتهم . ولم يأت ذلك إلا من كونهم قد أعجبوا بأسلوب ابن حبيب وأفكاره في كتابه هذا .

فهذا أبو الطيب القنوجي (ت ١٣٠٧هـ) يوشي كتابه (لقطة العجلان مما تمس الى معرفته حاجة الإنسان) بقوله (قال شمس الدين ابن حبيب رحمه الله : حضر فصول العام مجلس الأدب في يوم بلغ فيه الأديب نهاية الإرب ...الصحبة الفراق)[٧٨].

واخذ منه كذلك محمد باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري (ت ١٣٣١هـ) في كتابه (نخبة عقد الاجياد في الصافنات الجياد) حيث قال (وقال ابن حبيب الحلبي " وفد عليّ يوماً ذو ألوك يدعوني إلى حضرة بعض الملوك ..... بالمائدة عن الإنعام) [٧٩]

أما يوسف بن عبد المسيح شيخو (ت ١٣٤٦هـ) فقد أورد في كتابه (مجاني الأدب في حدائق العرب) مقطعاً من الفصل (الرابع) حول فصول العام

((حضر فصول العام مجلس الأدب في يوم بلغ فيه ..... وأخر الصحبة الفراق)) [٨٠]

في حين أقتبس أحمد بن إبراهيم الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ) في كتابه (جواهر البلاغة) الفصل الخامس في وصف الحديقة حيث قال (ووصف ابن حبيب الحلبي ت ٧٧٩هـ حديقة لما صدئت مرآة الجنان قصدت لجلائها بعض الجنان .... وثمار لا تعد ولا تستقصى) [٨١] .

---

[٧٥] ينظر: ذيل التقييد ٤٤١/١، الدرر الكامنة ١٣٥/٢، المنهل الصافي ١١٦/٥، كنوز الذهب ١١/١، نفح الطيب ٩٦٦/٢، كشف الظنون ١٢٧٠/٢، البدر الطالع ٢٠٥/١، الاعلام ٢٠٨/٢، هدية العارفين ٢٨٧/١-١٦٩/٢، معجم المؤلفين ٢٦٦/٣ ، جهود العلماء ٥٠

[٧٦] ينظر: كشف الظنون ١٢٧٠/٢-١٩٥٢، هدية العارفين ٢٨٧/١

[٧٧] ينظر: كشف الظنون ١٠٧٠/٢

[٧٨] ينظر: لقطة العجلان من ١٥٣ الى ١٥٦

[٧٩] ينظر: نخبة عقد الاجياد ٢١-٢٢

[٨٠] ينظر: مجاني الأدب ٥/ من ١٠١ الى ١٠٦

[٨١] ينظر: جواهر الأدب ٣٥٦/١-٣٥٧

كما أقتبس حامد عوني في كتابه (المنهاج الواضح للبلاغة) نصوصاً كثيرة من الكتاب منها (وقيل في وصف السماء : أيقظتني ليلة ... مسك الختام)[٨٢] وقيل في وصف السماء (: بساط زمرد نثرت ... مسك الختام) من غير أن يشير إلى كتاب ابن حبيب [٨٣] .

وجاء في كتاب الخلاصة في علوم البلاغة : لعلي بن نايف الشحود، بعض من الشواهد البلاغية المقتبسة من كتاب (نسيم الصِبا) (واسطة عقد الكواكب) [٨٤]

إن هذا الاهتمام بالكتاب لم يكن ليحدث لولا أنه كتاب جميل بموضوعاته ، أنيق بأسلوبه ، باهر ببلاغته . فهو وسيلة تعليمية فذة تقدم لطلاب علم البلاغة مادة ثرّة وجميلة .

كما إنه يقوّم من أساليب الكُتاب ويقوي قدراتهم على تنمية الخيال الفني العالي .

ولقد حاز كتاب (نسيم الصِبا) على إعجاب العلماء قديماً واهتمام الدارسين المحدثين في وقتنا الحاضر.

فقد قرضه عدد كبير من العلماء المعاصرين لابن حبيب ومن الذين جاءوا من بعده ، سأذكر هنا بعضاً منها :

١/ القاضي الحسين بن سليمان شرف الدين بن ربان (ت ٧٠٢هـ) قال : (وقفت على هذا الكتاب الذي أبدع فيه مؤلفه ، ونظم فيه الجواهر النفيسة مصنعه، وأينعت حدائق أدبه فدنا لمن يقطفه ، وعرفت مقدار ما فيه من الإنشاء وأين من يعرفه ، فوجدته ألطف من أسمه ،وأحسن من الدرر في نظمه ، وأطيب من الورد عند شمه ..... فصدر هذا الكتاب عن علم سابق وفكر ثاقب وذهن رائق ونفس صادق ، وروية ملأت تصانيفها المغارب والمشارق ..... فالله تعالى يبقي مصنفه قبلة لأهله ويديمه ، ويبلغه من سعادة الدنيا والآخرة ما يرومه بمنه وكرمه) [٨٥] .

٢/ أما خليل بن أيبك الصفدي (ت ١٧٦٤ هـ)[٨٦]: فقد أبدى إعجابه الكبير بالكتاب حين قال (وقفت على هذا المصنف الموسوم بنسيم الصّبا ، والتأليف الذي لو مرّ بالمجنون لما ألف ليلاه ولا مال إليها ولا صبا ، والإنشاء الذي إن شاء قائله جعل كلام غيره في هبات الهواء هبا ، والنثر الذي أغار قائله على سبائك الذهب الإبريز وسبى ، والكلام نبأ عنه الجاحظ جاحداً وما له ذكر ولا نبأ فسبحت جواهره لمن أوجده في هذا العصر ..... ومتع الله الزمان وأهله بهذا النوع الغض ،والنقد النض ، والبز البض ، والبديع الذي رمّ ما تشعث من ربع هذا الفن ورض ،.....) [٨٧] .

٣/ في حين تفرّد قاضي القضاة تاج الدين أبو النصر السبكي (٧٢٧- ٧٧١هـ) : في اختيار أروع العبارات وهو يقرض الكتاب فقال :(وحدّقت نحو الحدائق ، وفوّقت سهمي تلقاء الغرض الشائق ، وطرقت إلى ما يضيء أخا الحجى أسهل الطرائق ، فما علَّ صداي كنسيم الصبا ، ولا كمثله سهماً صائباً صبا به من لا صبا ، ولا نظرت نظيره حديقة تنبت فضة وذهباً ، فعيّن الله تعالى عليها كلمات عليها منه رقيب ومحاسن تسلى عندها بالحسن حبيب ، وفوائد حسان يذكرنا بها حسان البعيد حسن القريب[٨٨].

٤/ أما أبو عبد الله بن علي الهواري المعروف بشمس الدين بن جابر الضرير

(ت ٧٨٠هـ) صاحب (بديعية العميان) فقد عبرّ عن دهشته لجمال الكتاب فقا ل

(لما وقفت على الفصول الموسومة بنسيم الصِبا ، المرسومة في صفحات الحسن ، فإذا أبصرها اللبيب صبا ، أنتعش بها الخاطر انتعاش النبت بالغمام ....

هذي فصول الربيع في الزمن كم حسن أسندت إلى حسن

---

[٨٢] ينظر: المنهاج الواضح ١٦١/١

[٨٣] ينظر: المصدر نفسه ٣٥١/٣

[٨٤] ينظر: خلاصة الاثر ١٥

[٨٥] ينظر: نفح الطيب ٦٧١/٢

[٨٦] ينظر: الأعلام ٣١٥/٢

[٨٧] ينظر: نفح الطيب ٦٧٤/٢- ٦٧٥

[٨٨] ينظر: المصدر نفسه ٦٧٢/٢-٦٧٣

رقت وراقت فمن شمائلها بمثل صرف الشمول تتحفني) [٨٩]

٥/ وقال عنه ناصر الدين صاحب دواوين الإنشاء (وقفت على هذا الكتاب الذي أشبه الدر في انتظامه ، والثغر في ابتسامه ، وقطر الندى في انسجامه ، وزهر الروض في البكر ، إذا غنت على غصونه مطربات حمامه فوجدت بين أسمه ومسماه مناسبة اقتضاها طبع مؤلفه السليم ، واتصالا قريبا كاتصال الصديق الحميم ، فتحققت أن مؤلفه أبقاه الله تعالى وحرسه، أبدع في تأليفه وأصاب في تميزه بهذا الاسم وتعريفه .....) [٩٠] .

٦/ في حين أشار إليه آخرون بمثل قولهم : (وقف المملوك سليمان بن داود المصري على فصول الحكم من هذه الفصول فوجد من نسيم الصبا أمارات ا لقبول . ونزه طرفه في رياض هذا الكتاب ... والله المسؤول أن يرفع قدر مقالك ، ومقام قدرك ، ويوضع منهاج الأدب بنور بدرك ، بمنّه وكرمه، إنّه على كل شيء قدير) [٩١]

٧/ في حين جاء في كتاب البدر الطالع بأنه كتاب (يشتمل على نفائس عديدة) [٩٢].

٨/ ويختزل حاجي خليفة كل هذا الاهتمام بالكتاب فيقول (كتاب حسن في البديع ، قرّضه علماء عصره)[٩٣]

أما في عصرنا الحاضر فقد كتب الدكتور خالد بن محمد الجديع رئيس قسم الدراسات العليا في قسم اللغة العربية جامعة الإمام محمد بن السعود الإسلامية دراسة عن الكتاب ومحتواه عنوانها (كتاب نسيم الصّبا دراسة موضوعية فنية) استعرض فيها أهم ما فيه من موضوعات والسمات البلاغية والفنية الواضحة فيه [٩٤] .

في حين قام أحد الدارسين المصريين في جامعة عين شمس بكتابة رسالة ماجستير عنوانها (أنماط الراوي ووظائفه في السرد العربي التراثي - كتاب نسيم الصّبا لابن ح بيب الحلبي نموذجا) وهو الدكتور علاء عبد المنعم إبراهيم ، وذلك في سنة ٢٠٠٧م ورسالته تناولت الكتاب بدراسة سردية وفق المناهج الحديثة وقد أعتمد على النسخة التي حققها محمود الفاخوري ، والتي سآتي على وصفها مع باقي نسخ الكتاب ، وقد أوصى هذا الباحث بإعادة قراءة كتاب(نسيم الصّبا) في ضوء المناهج النقدية الحديثة فأشار إلى إن الكتاب يحتاج إلى المزيد من الجهود الأكاديمية لما له من قيمة عالية .

نخلص من هذا كُله إلى إن الكتاب مهم في بابه فهو يندرج تحت ما يسمى الآن باتجاه أو مدرسة (الفن للفن) لأننا لا نستطيع توكيد الهدف التعليمي من تأليفه بشكل أكيد ، بل ربما هو مكتوب لذات الفن ، حتى جاء قطعة فنية رائعة تعكس ترف التأليف وروعة البلاغة حينما تستخدم في إطارها الصحيح .

مصادر الدراسة

١ - الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ) / دار العلم للملايين ، ط ١٥ ،بيروت، ٢٠٠٢م .

٢ إنباء الغمر بأنباء العمر-الحافظ ابن حجر العسقلاني(ت٧٧٣هـ)- تحقيق حسن حبشي- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- ١٩٩٨.

٣ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) دار المعرفة – بيروت . لا. ت، لا. ط .

٤ - جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب (أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ت ١٣٦٢هـ) اشرف على تحقيقه وتصحيحه : لجنة من الجامعيين ، مؤسسة المعارف – بيروت ،لا. ط ، لا. ت .

---

[٨٩] ينظر: المصدر نفسه ٦٦٩/٢

[٩٠] ينظر: المصدر نفسه ٦٧٣/٢- ٦٧٤

[٩١] ينظر: نفح الطيب ٢/ من ٦٧١ -٦٧٢- ٦٧٣

[٩٢] ينظر: البدر الطالع ٢٠٥/١

[٩٣] ينظر: كشف الظنون ١٢٧٠/٢

[٩٤] ينظر: مجلة جامعة الامام محمد بن السعود من ٣٩٥ – الى ٤٦٠ ، العدد : ٤١ لسنة ١٤٢٤هـ-

٥ جهود العلماء في تصنيف السيرة النبوية في القرنيين الثامن والتاسع الهجري : عبد الحميد بن علي فقيهي ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ،لا. ط، لا. ت .

٦ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل ، الدمشقي (ت ١١١١هـ) دار صادر – بيروت .

٧ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية ،ط٢– الهند ، ١٩٧٢م .

٨ ديوان الإسلام : شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت ١١٦٧هـ) تحقيق : سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ،ط٢– بيروت – لبنان، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٩ ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد : محمد بن أحمد بن علي ، تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت ٨٣٢هـ) حقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكب العلمية ،ط١– بيروت – لبنان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

١٠ شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح (ت ١٠٨٩هـ) حققه : محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير، ط ١،دمشق،بيروت- ١٩٨٦م.

١١ طبقات الشافعية : أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي ، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ) تحقيق : الدكتور حافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ،ط١– بيروت، ١٤٩٧هـ .

١٢ كنوز الذهب في تاريخ حلب-سبط بن العجمي الحلبي-تحقيق شوقي شعث وفالح بكور-دار القلم العربي-ط١-١٤١٧هـ.

١٣ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون- حاجي خليفة- تحقيق محمد شرف الدين يالتقيا-دار احياء التراث العربي نسخة مصورة-بيروت.

١٤ لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان : أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني(ت١٣٠٧هـ)- طبعة الجوائب-١٢٩٦هـ.

١٥ مجاني الأدب في حدائق العرب : رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (ت ١٣٤٦هـ) مطبعة الآباء السيوعيين – بيروت، ١٩١٣م ،لا. ط.

١٦ معجم المؤلفين : عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت ١٤٠٨هـ) مكتبة المثنى – بيروت ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٧ معجم المطبوعات العربية والمعربة-يوسف الياس سركيس-مكتبة الثقفة الدينية- القاهرة

١٨ المنهاج الواضح للبلاغة : حامد عوني ، المكتبة الأزهرية ، لا.ط ، لا. ت .

١٩ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي ، أبو المحاسن ، جمال الدين (ت ٨٧٤هـ) حققه ووضع حواشيه : عبد الفتاح عاشور ، الهيئة العامة للكتاب ، لا. ط ، لا. ت .

٢٠ نظم الحكم والإدارة : في عصر الأيوبيين والمماليك : سعيد عاشور ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١- ١٩٨٧م .

٢١ نفح الطيب عن غصن الأندلس الرطيب ، وذكر وزيرها لسان الدين ين الخطيب : شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ) تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر –ط١– بيروت – لبنان، ١٩٩٧م.

٢٢ - هدية العارفين –اسماء المؤلفين واثار المصنفين ويليه ذيل على كشف الظنون-اسماعيل باشا البغدادي(ت١٣٩٩هـ)- دار احياء التراث العربي-بيروت- نسخة مصورة عن نسخة المطبعة البهية باسطنبول ١٩٥١.

٢٣ الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن ايبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ) تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ٢٠٠٠م ، لا. ط .

المجلات:

١- مجلة معهد المخطوطات العربية –عمان-مج١٤-ج.٥

٢-مجلة جامعة الإمام محمد بن السعود الإسلامية (كتاب نسيم الصِّبا لابن حبيب الحلبي (ت ى٧٧٩هـ) دراسة موضوعية فنية الدكتور خالد بن محمد الجديع ، العدد ٤١ لسنة ١٤٢٤هـ .

المواقع الالكترونية

١ - ملتقى أهل الحديث

٢ - موقع ودود للفهارس والمخطوطات.